



التفسير المعاصرة: دراسة نقدية فهم القرآن الحكيم للجابري أنموذجاً

إيمان محمد أمين حسن بني عامر

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن علم التفسير من العلوم الأساسية في فهم القرآن الكريم، ولقد اهتم به العلماء قديماً وحديثاً اهتماماً كبيراً لارتباطه بفهم كلام الله عز وجل. فتعددت التفاسير التي جاءت لدراسة القرآن الكريم بجوانبه المتعددة، فهناك التفاسير التي اهتمت بجانب العقيدة، وأخرى اهتمت بالجانب الفقهي، وأخرى اهتمت بالجانب البياني للقرآن الكريم، وهكذا حتى تناولوا جميع الجوانب المتعلقة بالقرآن.

وفي العصر الحديث ظهر عدد من التفاسير التي أضافت للتفاسير القديمة الشيء الجديد، فمنها ما اهتم بجانب الإعجاز العلمي للقرآن، ومنها ما درس الجانب التربوي والأخلاقي... إلخ، ولكن لا بد من دراسة هذه التفاسير دراسة نقدية وبيان ما فيها من نقاط موافقة أو مخالفة مع ما سبقها من التفاسير، وما فيها من أفكار جديدة سواء كانت موافقة للدين أو مخالفة. وقد جاءت هذه الدراسة، لبيان التفاسير المعاصرة ودراستها دراسة نقدية مع اعتماد فهم القرآن الحكيم للجابري أنموذجاً لهذه الدراسة.

إشكالية الدراسة:

تكمن الإشكالية الأساسية للبحث في الإجابة عن السؤال الآتي:

ما دور التفاسير المعاصرة في تفسير القرآن الكريم؟

والإجابة عن هذه الإشكالية تتم من خلال الإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

ما التفاسير المعاصرة؟

ما أبرز المصادر التي اعتمد عليها الجابري في تفسيره؟

ما أبرز الأفكار التي روج لها الجابري في تفسيره؟

ما أبرز الآثار المترتبة على تفسير الجابري؟

أسباب اختيار الموضوع:

- 1- هناك عدة أسباب دفعتني لاختيار هذا الموضوع:
- 2- أهمية علم التفسير، إذ هو من أهم العلوم التي تعين على فهم القرآن الكريم والعمل به.
- 3- بيان أهمية هذه الدراسة لبيان قيمة التفاسير المعاصرة.
- 4- بيان اعتماد المفسرين المعاصرين على التفاسير السابقة لهم.
- 5- بيان أهم الإضافات التي أضافها المفسرون المعاصرون على من سبقهم.
- 6- بيان الأثر الناتج عن الاختلاف في تفسير القرآن.

أهمية الدراسة:

إن للتفاسير المعاصرة أهمية كبيرة في فهم القرآن الكريم، وذلك لفهم معاني القرآن ولتبسيطها للمسلمين وبيانها لهم بياناً يتناسب مع مستوياتهم المختلفة، فلكل مفسر موقفه الخاص من القرآن وعباراته المناسبة لزمانه ومكانه، مما أدى إلى الاختلاف في استنباط الأحكام الفقهية، والفوائد التربوية والعلمية والأخلاقية وغير ذلك من الآثار المترتبة على دلالة الكلمات القرآنية.

الدراسات السابقة في الموضوع:

هناك عدة دراسات جاءت لدراسة التفاسير بأنواعها المختلفة، ومن الملاحظ أن هذه الدراسات كانت كل واحدة منها متخصصة في دراسة أحد التفاسير الخاصة بأحد المفسرين سواء كان من التفاسير القديمة أو الحديثة، ولم أجد دراسة أفردت لدراسة فهم القرآن الحكيم للجابري، ف جاءت هذه الدراسة لبيان ذلك.

منهج البحث:

المنهج الذي سأبنيه في هذه الدراسة، هو المنهج الاستقرائي، حيث سأعمل على جمع المادة العلمية للتعريف بالجابري وتفسيره، ثم أعمل على دراسة تفسير الجابري المسمى ب: فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، دراسة تحليلية نقدية، لبيان الآثار المترتبة على تفسير الجابري.

خطة البحث:

قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة. حيث ذكرت في المقدمة: إشكالية الدراسة، أسباب اختيار الموضوع، أهمية الدراسة، الدراسات السابقة في الموضوع، منهج البحث، خطة البحث. أما التمهيد فتحدثت فيه عن التفاسير المعاصرة. أما الفصل الأول ففيه تعريف بالجبري، ويشتمل على أربعة مباحث هي: المبحث الأول: نشأته. المبحث الثاني: الوظائف التي شغلها. المبحث الثالث: البيئة التي عاش فيها الجبري، والعوامل التي أثرت في حياته. المبحث الرابع: أشهر مؤلفاته مرتبة حسب تاريخ صدورها. وفاته.

الفصل الثاني: تعريف بتفسير الجبري ويشتمل على مبحث واحد وهو: وصف عام للتفسير. الفصل الثالث: دراسة تفسير الجبري دراسة نقدية

المبحث الأول: مصادر الجبري في مجال البحث.

المبحث الثاني: شخصية الجبري العلمية في التعامل مع المصادر، ويشتمل على ثلاثة نقاط هي: أولاً: العزو والتوثيق. ثانياً: المناقشة والاستدلال. ثالثاً: الاختيار والترجيح.

المبحث الثالث: شواهد وقيمتها التفسيرية، ويشتمل على خمسة نقاط هي: أولاً: الآيات القرآنية. ثانياً: الأحاديث النبوية. ثالثاً: السيرة النبوية. رابعاً: التوراة والإنجيل. خامساً: الاهتمام بالبحث اللغوي المقارن. الخاتمة: وفيها أهم النتائج والمقترحات التي توصل إليها البحث.

وأخيراً أرجو أن أكون قد قدمت بحثاً ذا منهج سليم، فإن وفقت إلى ذلك فبفضل من الله تعالى وتوفيقه، وإن كانت الأخرى، فلي من حسن النية ما أعتذر به إليكم، وما توفيقى إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسبي ونعم الوكيل. والحمد لله رب العالمين.

تمهيد: التفاسير المعاصرة:

ويقصد بها التفاسير التي ظهرت منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، أو بداية القرن العشرين. وظهرت اتجاهات عديدة للتفسير في هذا العصر، وألفت العديد من التفاسير المختلفة، منها ما هو أصيل أبدع فيه صاحبه، ومنها ما هو تكرر لما قيل في التفاسير السابقة، ومنها ما لم يضيف إلى عالم التفسير شيئاً يكاد يذكر، ومن أبرز هذه الاتجاهات: الاتجاه الأثري، والاتجاه العقلي، والاتجاه العلمي، والاتجاه الاجتماعي، والاتجاه البياني، والاتجاه الدعوي الحركي⁽¹⁾.

ومن أشهر التفاسير التي ظهرت في العصر الحديث: المنار لمحمد رشيد رضا، وتفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي، والجواهر لطنطاوي جوهرى، وأوضح التفاسير لمحمد عبد اللطيف بن الخطيب، والمصحف المفسر لمحمد فريد وجدي، وصفوة البيان لمعاني القرآن لحسين محمد مخلوف، والتفسير الواضح لمحمد محمود حجازي، وتيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم لعبد الجليل عيسى، والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، والتفسير الفريد للقرآن المجيد لمحمد عبد المنعم الجمال، وتفسير خفاجي لمحمد عبد المنعم خفاجي، والتفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي، وتفسير القرآن الكريم لمحمود شلتوت، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، ومحاسن التأويل لجمال الدين القاسمي، والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة، والتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، وأضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي، والأساس في التفسير لسعيد حوى، وأيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري، وصفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، وتيسير التفسير لإبراهيم يس القطان، وتفسير المؤمنين لعبد الودود يوسف، ومن موضوعات سور القرآن لعبد الحميد طههاز... إلخ⁽²⁾.

هذه التفاسير من أشهر التفاسير التي ظهرت بالإضافة إلى غيرها من التفاسير التي لم تستهر

1- انظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، ط 4، 1431هـ/

2010م، ص 565-568.

2- انظر: المرجع السابق، ص 569-570.

وتظهر مثل هذه التفاسير.

الفصل الأول: تعريف الجابري:

المبحث الأول: نشأته:

هو محمد عابد الجابري ولد صباح يوم عيد الفطر من سنة 1354هـ/27، كانون الأول/ديسمبر، 1935م⁽³⁾، بقلعة زناكة من مدينة فجيح الواقعة في الجنوب الشرقي من المغرب على خط الحدود الذي أقامه الفرنسيون بين المغرب والجزائر⁽⁴⁾، فنشأ نشأته الأولى عند أخواله بعد أن انفصلت والدته عن والده وهو جنينٌ في بطنها، وكان يلقي عناية فائقة من أهله سواء من جهة أبيه أو أمه، غير أن عناية جده لأمه به كانت تفوق كل عناية مما جعل طفولته الأولى ترتبط في ذاكرته بأخواله أكثر من ارتباطها بالطرف الآخر⁽⁵⁾.

وكان جده لأمه يحرص على تلقيه بعض السور القصيرة من القرآن وآيات أخرى مثل آية الكرسي وبعض الأدعية كدعاء القنوت، وما لبث أن ألحقه بالكتاب فتعلم القراءة والكتابة وحفظ ما يقرب من ثلث القرآن، وما إن أتم السابعة حتى انتقل لكتاب آخر، وتزوجت أمه من شيخ الكتاب فتلقى الجابري تعليمه على يد زوج والدته لفترة قصيرة، ثم أدخله عمه من أبيه بالمدرسة الفرنسية ففضى عامين بالمستوى الأول يدرس بالفرنسية⁽⁶⁾.

بدأت أمارات التفوق على الجابري حين برع في الحساب كما كان يجيد القراءة في كتاب التلاوة الفرنسية، وكان الانتساب للمدرسة الفرنسية ينطوي في نظر أهل البلد على نوع من الخروج على الطريق، وعلى نوع من العقوق بالدين والوطن، فكان الآباء يخفون أبناءهم ولا يسمحون بتسجيلهم في هذه المدرسة إلا تحت ضغط السلطات الفرنسية وأعوانها⁽⁷⁾.

أتيحت للجابري فرصة الالتقاء بالحاج محمد فرج، وهو من رجال السلفية النهضوية بالمغرب، الذين جمعوا بين الإصلاح الديني، والكفاح الوطني، والتحديث الاجتماعي والثقافي، وكان محمد فرج

3- انظر: محمد عابد الجابري، حفريات في الذاكرة من بعيد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص37.

4- انظر: المرجع السابق، ص21.

5- انظر: المرجع السابق، ص25-26، و37.

6- انظر: المرجع السابق، ص45-51.

7- انظر: المرجع السابق، ص53-54.

إمامًا بمسجد زناكة الجامع، وكان الجابري يواظب على حضور دروسه بعد صلاة العصر، وعمره يومئذ لا يتجاوز العاشرة(8).

وفي هذه الأثناء راودت شيخه فكرة إنشاء مدرسة وطنية حرة بفجيج، وبالفعل حصل على رخصة من وزارة المعارف، لإنشاء مدرسة "النهضة المحمدية" كمدرسة وطنية لا تخضع للسلطات الفرنسية ولا تطبق برامجها، بل يشرف عليها رجال الحركة الوطنية فكانت هذه المدارس الحرة العربية ملحقة بالتعليم الديني بوصفه تعليمًا وطنيًا محليًا، حيث جعلوا منها مدارس عصرية معربة، لتصبح بديلاً للتعليم الفرنسي بالمغرب، فالتحق الجابري بالمدرسة وتخرج فيها سنة 1368هـ/ 1949م بعد أن حصل على الابتدائية(9).

ثم التحق بالقسم التكميلي، الذي افتتحه الحاج محمد بالفجيج للتلاميذ الذين نجحوا في الشهادة الابتدائية، ما بين عامي 1949م-1950م، بعد ذلك التحق بالقسم الإعدادي الذي فتحته إحدى المدارس الحرة الوطنية المعربة في وجدة والتي كانت تنتمي إلى سلك المدارس الحرة التي أنشأتها الحركة الوطنية كبديل للتعليم الفرنسي، والتي قضى فيها سنة دراسية واحدة 1950م-1951م(10).

ثم انتقل إلى الدار البيضاء، لإكمال دراسته الإعدادية في عامي 1951م-1952م، وفي عام 1955م اجتاز امتحان الشهادة الثانوية، وامتحن الدبلوم الأول في الترجمة، ثم في عام 1956م نجح في امتحان الكفاءة في التعليم الابتدائي، ثم امتحان البكالوريا في عام 1957م، ثم التحق بكلية الآداب بالرباط عام 1958م(11)، ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، بالرباط 1967م، وحصل بعد ذلك على دكتوراه الدولة في الفلسفة، كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، بالرباط، 1970م، وأتقن عدة لغات منها: العربية والفرنسية والإنجليزية(12).

المبحث الثاني: الوظائف التي شغلها:

عمل معلمًا مساعدًا في الابتدائي في المدرسة المحمدية، ثم معلمًا لأقسام الشهادة الابتدائية، ثم مترجمًا في جريدة العلم، وعمل مدرسًا ثم ناظرًا للثانوية، (1962م)، ثم مراقبًا، وموجهًا تربويًا لأساتذة

8- انظر: الجابري، المرجع السابق، ص 76.

9- انظر: المرجع السابق، ص 76-78.

10- انظر: المرجع السابق، ص 126-127.

11- انظر: المرجع السابق، ص 134-165.

12- الموقع الرسمي للدكتور محمد عابد الجابري على النت، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تاريخ 11/12/2012م.

الفلسفة بالتعليم الثانوي 1965م-1967م. ثم أستاذًا للفلسفة والفكر الإسلامي بكلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، (1967م-2002م)⁽¹³⁾.

المبحث الثالث: البيئة التي عاش فيها الجابري، والعوامل التي أثرت في حياته:

من أبرز ما يميز البيئة التي نشأ بها الجابري أنها تزخر بأحاديث السحر والشياطين والجن، ويكثر فيها التطير، والحديث عن الملائكة، وقد بين ذلك في الصفحات الأولى من كتابه الحفريات⁽¹⁴⁾، حيث كان مجتمع قريته يموج بهذه الأفكار، وربما كان هذا هو السبب الذي دفعه إلى التعلق بالاعتقالات النقدية فيما بعد، ورفض كافة النزعات اللاعقلانية، أو التي صنفها الجابري ضمن المذاهب والتوجهات اللاعقلانية كالصوفية والغنوصية⁽¹⁵⁾(16).

وتعد حياة الجابري في طفولته وصباه جافةً علميًا وفكريًا، إذ إن الكتب التي قرأها واطلع عليها تعد على اصابع اليد الواحدة، لعل ذلك كان بسبب بعد وتحلف قريته حيث كان أول عهدها بالمدرسة الوطنية سنة 1947م، وكان الجابري أول تلامذتها⁽¹⁷⁾، وذلك يدل على أنه قد بذل جهدًا كبيرًا من أجل تحصيل وإثراء ثقافته الواسعة التي جعلته اليوم ضمن كبار المفكرين العرب.

ومن أبرز الشخصيات التي تأثر بها الجابري في طفولته هو الحاج محمد فرج شيخ المسجد في قريته، فقد كان ينتمي إلى تيار السلفية النهضوية ومارس الوطنية والتحديث في الدين، فجمع بين الإصلاح الديني والكفاح الوطني، والتحديث الاجتماعي والثقافي في عملية واحدة، وكانت ثقافته تقتصر على حفظ القرآن وبعض متون الفقه والنحو فكان محمد عابد الجابري يكن له الاحترام لكفاحه ضد

13- انظر: الجابري، حفريات في الذاكرة من بعيد، ص 147-153، والموقع الرسمي للدكتور محمد الجابري على النت، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تاريخ 11/12/2012م.

14- انظر: الجابري، حفريات في الذاكرة من بعيد، ص 16-19.

15- الغنوصية أو العارفية أو العرفانية: هي مدرسة عقائدية أو فلسفية حلولية نشأت حول القرن الأول الميلادي، ويعتقد البعض أن لها جذور وبدايات تعود إلى القرون الثلاث الأخيرة قبل الميلاد في المجتمع السكندري لتبرير انتشار الديانة المصرية القديمة في الإمبراطورية الرومانية بجانب الديانات المحلية. (ويكيبيديا الموسوعة الحرة، 24/2/2013م).

16- ولاء مهدي محمد حسين الجبوري، "محمد عابد الجابري توجهه العربي الإسلامي وفكره الفلسفي المعاصر"، رسالة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة، جامعة بغداد، 1426هـ/2005م، ص 1.

17- انظر: حفريات في الذاكرة من بعيد، ص 139-140.

الفرنسيين (18).

تعرف الجابري على فكرة القومية العربية، عن كُتب في زيارته لسوريا عام 1957م-1958م، إذ درس في سورية وعمل مراسلاً لجريدة "القلم" المغربية، ولم يكن قبل هذا الوقت على اتصال أو معرفة بهذه الفكرة التي آمن بها وأصبح من أشد المدافعين عنها، عاصر الجابري في تلك الفترة مرحلة ازدهار الفكرة العربية وجملة الأحداث التي أعقبتها إعلان الوحدة بين مصر وسورية وقيام الجمهورية العربية المتحدة (19).

المبحث الرابع: أشهر مؤلفاته مرتبة حسب تاريخ صدورها:

- 1- العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي (1971م).
- 2- أضواء على مشكل التعليم بالمغرب (1973م).
- 3- مدخل إلى فلسفة العلوم: جزآن (1976م).
- الأول: تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة.
- الثاني: المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي.
- 4- من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية (1977م).
- 5- نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي (1980م).
- 6- الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية (1982م).
- 7- تكوين العقل العربي (1984م).
- 8- بنية العقل العربي (1986م).
- 9- السياسات التعليمية في المغرب العربي (1988م).
- 10- إشكاليات الفكر العربي المعاصر (1988م).
- 11- المغرب المعاصر، الخصوصية والهوية، الحداثة والتنمية (1988م).
- 12- العقل السياسي العربي (1990م).
- 13- حوار المغرب والمشرق، حوار مع الدكتور حسن حنفي (1990م).
- 14- التراث والحداثة، دراسات ومناقشات (1991م).
- 15- مقدمة لنقد العقل العربي، نصوص مترجمة إلى اللغة الفرنسية

Introduction à la Critique de la Raison Arabe. (Traduit de l'Arabe et Présenté par

18- انظر: المرجع السابق، ص 76.

19- الجبوري، "محمد عابد الجابري توجهه العربي الإسلامي وفكره الفلسفي المعاصر"، ص 2.

Ahmed Mahfoud et Marc Geoffroy éd La Découverte, Paris, 1994).

- 16 المسألة الثقافية (1994م).
 - 17 المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد (1995م).
 - 18 مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب (1995م).
 - 19 الدين والدولة وتطبيق الشريعة (1996م).
 - 20 المشروع النهضوي العربي (1996م).
 - 21 الديموقراطية وحقوق الإنسان (1997م).
 - 22 قضايا في الفكر المعاصر: (العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديموقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة) (1997م).
 - 23 التنمية البشرية والخصوصية السوسيو ثقافية، العالم العربي نموذجاً (1997م).
 - 24 وجهة نظر: نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر (1997م).
 - 25 حفريات في الذاكرة، من بعيد (سيرة ذاتية من الصبا إلى سن العشرين)، (1997م).
 - 26 الإشراف على نشر جديد لأعمال ابن رشد الأصيلة مع مداخل ومقدمات تحليلية وشروح (1997/1998م).
 - فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال.
 - الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة.
 - تهافت التهافت انتصاراً للروح العلمية وتأسيساً لأخلاقيات الحوار.
 - كتاب الكليات في الطب.
 - الضروري في السياسة: مختصر سياسة أفلاطون.
 - 27 ابن رشد: سيرة وفكر (1998م).
 - 28 العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية (2001م).
 - 29 سلسلة مواقف: (سلسلة كتب في حجم كتاب الجيب).
 - 30 في نقد الحاجة إلى الإصلاح (2005م).
 - 31 مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن (2006م).
 - 32 فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول (2008م).
- وبالإضافة إلى ذلك له الكثير من المقالات المنشورة. وحصل على العديد من الجوائز، منها:

- أ- جائزة بغداد للثقافة العربية، اليونسكو (يونيو/ 1988 م).
- ب- الجائزة المغاربية للثقافة، تونس (مايو/ 1999 م).
- ت- جائزة الدراسات الفكرية في العالم العربي، مؤسسة MBI، تحت رعاية اليونسكو (14/11/2005 م).
- ث- جائزة الرواد، مؤسسة الفكر العربي بيروت (07/12/2005 م).
- ج- ميدالية ابن سينا من اليونسكو في حفل تكريم شاركت فيه الحكومة المغربية بمناسبة اليوم العالمي للفلسفة، الرباط/ الصخيرات (16/ نوفمبر/ 2006 م).
- ح- جائزة ابن رشد للفكر الحر (أكتوبر/ 2008 م)، برلين، ألمانيا (20). واعتذر الجابري عن عدد من الجوائز.

وفاته:

توفي الجابري في يوم الاثنين 3/ مايو/ 2010 م، بالدار البيضاء، عن خمسة وسبعين عامًا (21).

الفصل الثاني: تعريف بتفسير الجابري:

يعد تفسير الجابري من التفاسير التي تم ترتيبها حسب ترتيب النزول، وهو بذلك يخالف جمهور المفسرين حيث يتبعون في تفاسيرهم الترتيب الصحفي، ولقد سبقه إلى هذا العمل عدد من المفسرين مثل: محمد عزت دروزة في كتابه التفسير الحديث وعبد القادر ملا حويش في كتابه بيان المعاني وعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في كتابه معارج التفكير ودقائق التدبر ويخالف الجابري المفسرين في تفسيره في كثير من المسائل التفسيرية، والتي سنوضحها من خلال هذه الدراسة:

المبحث الأول: وصف عام للتفسير:

عنوان التفسير: فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول. وهو يتكون من ثلاثة أقسام (أجزاء).

وقد علل الجابري سبب تسميته بـ: فهم القرآن الحكيم بقوله: " باعتبار أن فهم القرآن مهمة مطروحة في كل وقت ومطلوبة في كل زمان، وبأن القرآن يخاطب أهل كل زمان ومكان، يفرض علينا

20- الموقع الرسمي للدكتور محمد عابد الجابري على النت، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تاريخ 11/12/2012 م.

21- الجابري، التراث والحداثة دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط4، 2011 م،

غلاف الكتاب.

اكتساب فهم متجدد للقرآن بتجدد الأحوال في كل عصر" (22).

وهدف الجابري هو فصل النص القرآني عن كل التفسيرات والتأويلات السابقة من أجل ربطها بزمانها ومكانها، وقد بيّن ذلك بقوله: "لقد كنا نطمح إلى أن نوضح كيف أن فهم القرآن ليس هو مجرد نظر في نص ملئت هوامشه وحواشيه بما لا يحصى من التفسيرات والتأويلات بل هو أيضًا "فصل" هذا النص عن تلك الهوامش والحواشي، ليس من أجل الإلقاء بها في سلة المهملات بل من أجل ربطها بزمانها ومكانها، كي يتأتى لنا "الوصل" بيننا نحن في عصرنا، وبين "النص" نفسه كما هو في أصلته الدائمة" (23).

ثم وضح أن المقصود من الأصالة هنا، "ليس النص كما نزل، فهو معطى بكامل أصلته في المصحف الذي بين أيدينا، إذ "هو/ هو" منذ أن جمع في زمن الخليفة عثمان، بل المقصود بـ: "الأصالة هنا، على صعيد الفهم، هو هذا النص مجردًا عن أنواع الفهم له، التي دونت في كتب التفسير باختلاف أنواعها واتجاهاتها، إن الأمر يتعلق هنا أساسًا بعزل المضامين الأيدولوجية لتلك الأنواع من الفهم" (24).

والجابري هنا يرى أن التفاسير السابقة سبب مانع من فهم القرآن ومن التواصل معه، وفي هذا الكلام إجحاف بحق المفسرين السابقين، حيث كان لكل مفسر جهد خاص في فهم القرآن الكريم وخدمته، غير مانع من اجتهاد أحد من العلماء في فهم القرآن الكريم، واستخراج ما فيه من فوائد وحكم في أي زمان أو مكان.

كما أن لكل مفسر سابق جهود خاصة في إحدى مجالات القرآن، فمنهم من اهتم بالجانب البياني للقرآن، ومنهم من اهتم بالجانب العلمي للقرآن، ومنهم من اهتم بالجانب اللغوي للقرآن، ومنهم من اهتم بجانب الإعراب وهكذا، فجهود المفسرين جهود تكاملية جميعها تسعى لفهم القرآن فهمًا صحيحًا، بعيدًا عن التعصب والمذهبية. وأيضًا يرى الجابري أن القرآن قد جمع في عهد عثمان رضي الله عنه، وفي هذا إنكار لجمع القرآن في زمن أبي بكر رضي الله عنه، وستعرض لهذه القضية في مبحث لاحق.

ويتطلع الجابري إلى الاقتصار على المؤلفات المؤسسة في التفسير مثل التفاسير التي ألفها بعض علماء اللغة، وبعناوين لغوية الطابع مثل مجاز القرآن ومعاني القرآن والتفسيرين اللذين يمكن اعتبارهما

22- الجابري، فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،

لبنان، ط3، 2010، ج1، المقدمة ص 9.

23- الجابري، المرجع السابق، ج1، المقدمة ص 10.

24- الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج1، المقدمة ص 10.

بحق عمدة التفاسير اللاحقة لهما وهما جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعميون الأفاويل في وجوه التأويل للزخشري⁽²⁵⁾.

وفي قول الجابري هذا إنكار لعدة جوانب من التفسير مثل التفسير البياني للقرآن والتفسير العلمي للقرآن... وغيرها من الجوانب الأخرى.

ويبين الجابري أن الدافع له لتأليف هذا الكتاب بهذه الطريقة هو كلام قرأه للإمام الشاطبي في كتابه الموافقات هو: "المدني من السور ينبغي أن يكون منزلاً في الفهم على المكّي، وكذلك المكّي بعضه مع بعض والمدني بعضه مع بعض على حسب ترتيبه في التنزيل وإلا لم يصح"⁽²⁶⁾.

والجابري هنا أخذ جزءاً من قول الشاطبي وترك بقيته مع أنه تبين لما قصد الشاطبي من كلامه حيث قال: "المدني من السور ينبغي أن يكون منزلاً في الفهم على المكّي، وكذلك المكّي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل، وإلا لم يصح، والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكّي، كما أن المتأخر من كل واحد منها مبني على مقدمه، دلّ على ذلك الاستقراء، وذلك إنما يكون ببيان مجمل أو تخصيص عموم أو تقييد مطلق أو تفصيل ما لم يفصل أو تكميل ما لم يظهر تكميله"⁽²⁷⁾.

والشاطبي هنا قصد ترتيب النزول للسور ولم يقصد الترتيب النزولي للآيات، حيث مثل لذلك بسورة الأنعام وسورة البقرة، حيث إن سورة الأنعام مكّية، وسورة البقرة مدنية، ويبيّن أن سورة الأنعام "نزلت مبيّنة لقواعد العقائد وأصول الدين،... ثم لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان من أول ما نزل عليه سورة البقرة، وهي التي قررت قواعد التقوى المبنية على قواعد سورة الأنعام، فإنها بيّنت من أقسام أفعال المكلفين جملتها، وإن تبين في غيرها تفاصيل لها كالعبادات التي هي قواعد الإسلام، والعادات من أصل المأكول والمشروب وغيرهما، والمعاملات من البيوع والأنكحة وما دار بها، والجنائيات من أحكام الدماء وما يليها، وأيضاً، فإن حفظ الدين فيها، وحفظ النفس والعقل والنسل والمال مضمن فيها، وما خرج عن المقرر فيها، فبحكم التكميل، فغيرها من السور المدنية المتأخرة عنها مبني عليها، كما

25- انظر: المرجع السابق، ج 1، المقدمة، ص 11.

26- المرجع السابق، ج 1، المقدمة، ص 12.

27- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،

دار ابن عفان، السعودية، ط1، 1417هـ/1997م، ج 4، ص 256.

كان غير الأنعام من المكّي المتأخّر عنها مبنياً عليها، وإذا تنزلت إلى سائر السور بعضها مع بعض في الترتيب، وجدتها كذلك، حذو القذّة بالقذّة، فلا يغيبن عن الناظر في الكتاب هذا المعنى، فإنه من أسرار علوم التفسير، وعلى حسب المعرفة به تحصل له المعرفة بكلام ربه سبحانه" (28).

ويقصد الشاطبي أيضاً الترابط الموضوعي بين السور المكّية والمدنية، فيكون الجابري بذلك قد خرج عن المقصود من نص الشاطبي.

ثم يفرق الجابري بين فهم القرآن المتلو وفهم القرآن المكتوب حيث يقول: "أما الآن، فقد غدا من السهل عليّ القول إننا نستطيع أن نتعامل مع أي سورة أو أي مجموعة من آيات القرآن المتلو، ولا تحتاج في التواصل معها سوى إلى مقرئ يجيد التلاوة، ذلك لأن معنى القرآن المتلو يكون "أصل انفجاره من القلب"، كما يقول الشاطبي في معرض كلامه عن الفهم الصوفي والباطني للقرآن، أما معنى القرآن المكتوب فيتطلب فهمه تتبع ترتيبه ككتاب، في السابق واللاحق، على أساس... أن المدني من السور ينبغي أن يكون منزلاً في الفهم على المكّي وكذلك المكّي بعضه مع بعض والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل وإلا لم يصح الفهم" (29).

وهذا القول من الجابري غير صحيح حيث ينشأ عنه تفريق بين القرآن المتلو والقرآن المكتوب مع أن كلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه، وفي هذا إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أي يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر (30).

ويعمل الجابري في تفسيره على فصل المكّي عن المدني، واعتماد ترتيب النزول أساساً في تقسيمه لهذا التفسير، حيث يرى بأن المكتبة الإسلامية تفتقر إلى تفسير يستفيد في عملية الفهم من جميع التفاسير السابقة ويعتمد ترتيب النزول (31).

28- المرجع السابق، ج 4، ص 257.

29- الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 1، ص 13.

30- انظر: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار الثقافة، الدوحة، 1985م، ص 12-13.

31- انظر: الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 1، ص 13-14.

وهذا القول من الجابري غير صحيح حيث أنه يوجد عدة تفاسير اعتمد أصحابها ترتيب النزول أساسًا لتفاسيرهم مثل: التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة، وبيان المعاني لعبد القادر ملا حويش، ومعارج التفكير ودقائق التدبر لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

ويرى الجابري أن فهم القرآن كان فهمًا مقلوبًا بسبب تفسيره حسب الترتيب الموافق لترتيب القرآن الكريم حيث وضع ذلك عند عرضه لسبب نزول قوله تعالى: ﴿ذِي ذُرِّيَّتَيْنِ﴾⁽³²⁾ بقوله: "لقد توقفنا بعض الشيء مع الرواية التي وضعت للآية المذكورة لننبه إلى أن التفسير والحديث قد تأثرا كثيرًا بالصراعات السياسية، وأن فهم القرآن لم يكن مقلوبًا بسبب اتباع المفسرين ترتيب المصحف دون ترتيب النزول فحسب، بل كان مقلوبًا كذلك من حيث إن المفسرين كانوا يعتمدون عن قصد أو عن غير قصد روايات وتأويلات بعدية، متأثرة بالصراعات التي حدثت في ظروف بعيدة كل البعد عن العصر النبوي"⁽³³⁾.

وأما التفسير العلمي للقرآن فيرى أنه سبب مانع من فهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا حيث يقول: "...إن الخروج بعملية "فهم القرآن" إلى توظيف "علم" وقت من الأوقات لا يختلف عن توظيف نظريات الباطنية من إسماعيلية ومتصوفة وغيرها"⁽³⁴⁾.

ويسلك الجابري طريقة في الإفهام ألصق بالطريقة التي تعتمد اليوم في الكتابة، ويعمل على استخدام أدوات الإفهام في الكتابة والمقصود بها استخدام ما يجهز به النصوص من علامات تعين على الفهم وتقوم في الكتابة مقام "علامات التلاوة" في المصحف، وأيضًا مقام "إشارات" المتكلم والخطيب وذلك مثل: الرجوع إلى أول السطر عند اكتمال التعبير عن الفكرة والانتقال إلى فكرة جديدة، ووضع نقطة عند اكتمال الجملة، والفاصلة بين الكلمات عندما يتعلق الأمر بعملية تعداد، أو للفصل بين أجزاء الجملة...⁽³⁵⁾، وهذا هو السبب في تسميته لهذا التفسير بـ: التفسير الواضح.

وهنا كأن الجابري يدعي أن كتابة المصحف الشريف وما فيه من فواصل وعلامات تلاوة لا تعين على فهم القرآن الكريم، لذلك استبدالها بأدوات وعلامات مستخدمة اليوم في الكتابة، لتساعد

32- سورة إبراهيم، الآية: 28.

33- الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 2، ص 238.

34- المرجع السابق، ج 2، ص 312.

35- انظر: الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 1، ص 15.

على الفهم كما يدعي، وأرى أيضًا أن في هذا القول إخراج للقرآن عن قدسيته الخاصة به والمختلفة عن غيره من الكتب البشرية.

أما محتوى التفسير فعمل على توزيع مادة التفسير في كل سورة إلى ثلاثة أقسام تقديم، وهوامش، وتعليق، حتى يعمل على تنظيم ما تورده التفاسير من نقول ومعلومات واجتهادات متداخلًا متراكبًا مع بعضه البعض.

أما التقديم فهو عبارة عن عرض مختصر لأهم المرويات التي وردت حول السورة من أسباب نزول أو المرويات التي تعين على الفهم أو تحدد تاريخ نزول السورة أو ظروف نزولها.

أما الهوامش أسفل الصفحات، فتحتوي على الشروح أو التعليقات التي يحتاج إليها من حين لآخر، بكونها تطلع القارئ على رأي خاص بمفسر معين، أو على مرويات أو ملاحظات يتعذر إدراجها بين الهالين داخل النص، بسبب طولها أو عدم وجود علاقة مباشرة بينها وبين النص.

أما التعليق ففيه أهم القضايا التي تناولها الجابري في شكل خلاصة مركزة مع إبداء رأيه في هذه المسألة.

هذا وأشار الجابري إلى أنه ميز في تسلسل السور حسب ترتيب النزول بين مراحل، مراعيًا فيها التطابق النسبي بين مسار التنزيل ومسيرة الدعوة، واضعًا عناوين مناسبة لكل مرحلة⁽³⁶⁾.

ويبين الجابري في كتابه مدخل إلى القرآن الكريم، أنه عمل على التصرف في ترتيب النزول المعتمد ترتيب الأزهر بما يتوافق مع الغرض المتوخى عنده وهو التصور المنطقي عن المسار التكويني للنص القرآني والأقرب إلى الواقع التاريخي فقال: "وفي هذه الحالة قد تدعو الحاجة إلى التصرف في ترتيب النزول المعتمد اليوم، بوصفه نتيجة اجتهاد مبني على الظن والترجيح"⁽³⁷⁾.

ولا أعلم ما المقصود من قول الجابري هنا "الأقرب إلى الواقع التاريخي"؟ هل يسعى إلى جعل القرآن الكريم كتاب تاريخ أم ماذا. وميز الجابري بين مسار التنزيل ومسيرة الدعوة خلال العهد المكّي إلى ستة مراحل، محورها العقيدة والأخلاق وهي:
المرحلة الأولى: في النبوة والربوبية والألوهية.

36- انظر: المرجع السابق، ج 1، ص 16-17.

37- محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،

ط3، 2010م، ص 244.

المرحلة الثانية: في البعث والجزاء ومشاهد القيامة.

المرحلة الثالثة: في إبطال الشرك وتسفيه عبادة الأصنام.

وهذه المراحل الثلاث تضم اثنتين وخمسين سورة تبدأ من سورة العلق إلى سورة يوسف (38).

المرحلة الرابعة: الصدع بالأمر والاتصال بالقبائل.

المرحلة الخامسة: حصار النبي وأهله في شعب أبي طالب وهجرة المسلمين إلى الحبشة.

المرحلة السادسة: ما بعد الحصار: مواصلة الاتصال بالقبائل والاستعداد للهجرة إلى المدينة (39).

أما العهد المدني فاعتبره مرحلة واحدة محورها الأحكام والتشريع للدولة، وهي بعنوان: الرسول في المدينة، ناقش فيها عدة قضايا، منها: مسألة العيش، ومسألة التعايش، وغزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وتحويل القبلة، والصراع مع اليهود... (40). والجابري في هذا التقسيم يوافق المستشرقين مثل نولدكه وبلاشير في تقسيمهم القرآن الكريم إلى مراحل، حيث ميزوا بين ثلاثة مراحل في القرآن المكي، ومرحلة واحدة في القرآن المدني. وأخيرًا فإنه يطلق على هذا النوع من التفسير "قراءة القرآن بالسيرة وقراءة السيرة بالقرآن" لبيان العلاقة الوثيقة بين الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وبين القرآن الحكيم (41).

ويبين هذا في قوله: "ولما كان الهدف عندنا، من الترتيب حسب النزول هو التعرف على المسار التكويني للنص القرآني باعتقاد مطابقتها مع مسار الدعوة المحمدية، فإن دور المنطق أو الاجتهاد لا بد أن يكون مركزًا أساسًا على المطابقة بين المسارين: مسار السيرة النبوية، والمسار التكويني للقرآن" (42).

الفصل الثالث: دراسة تفسير الجابري دراسة نقدية:

المبحث الأول: مصادر الجابري في مجال البحث:

استقى الجابري المسائل التي أوردها في كتابه فهم القرآن الحكيم معالجًا بها الموضوعات التي تضمنتها تلك المصنفات من مجموعة من المصادر ذكرها الجابري في فهرس المراجع وتوزعت على المجموعات التالية:

38- انظر: الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 1، ص 18-19.

39- انظر: المرجع السابق، ج 2، ص 5-6.

40- انظر: المرجع السابق، ج 3، ص 7-34.

41- انظر: المرجع السابق، ج 1، ص 18.

42- الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن، ص 245.

- 1- مصادره في التفسير:
1. تفسير مقاتل بن سليمان.
 2. معاني القرآن، للفراء.
 3. تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
 4. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحيدي.
 5. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل للزمخشري.
 6. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، للرازي.
 7. تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن.
 8. الدر المنثور في التفسير بالمنقول، للسيوطي.
 9. التحرير والتنوير في تفسير القرآن، لابن عاشور.
- 2- مصادره في علوم القرآن
1. أسباب النزول، للواحيدي.
 2. الإتيقان في علوم القرآن، للسيوطي.
 3. لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي.
- 3- مصادره في الحديث النبوي الشريف:
1. صحيح البخاري.
 2. المستدرک على الصحيحين في الحديث، للحاكم.
- 4- مصادره في السيرة النبوية:
1. السيرة، لابن اسحاق.
 2. السيرة النبوية، لابن هشام.
 3. السيرة الحلبية، للخفاجي.
 4. كتاب المغازي، للواقدي.
- 5- مصادره في الفقه وأصوله:
1. الموافقات في أصول الدين، للشاطبي.
- 6- مصادره في العقيدة والأديان:
2. الملل والنحل، للشهرستاني.

3. كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم.
 4. الكلام في الشفاعة والميزان والحوض وعذاب القبر والكتبة، لابن حزم.
 5. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار.
 6. مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية.
 7. كتاب الأصنام، للكلبي.
 8. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، لعبد الوهاب المسيري.
- 7- المعاجم اللغوية:
1. لسان العرب، لابن منظور.
 2. القاموس المحيط، للفيروزآبادي.
- 8- مصادره في التاريخ:
1. الطبقات الكبرى، لابن سعد.
 2. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، للأزرقي.
 3. تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك.
 4. كتاب المغازي، للواقدي.
- 9- مصادره في الجغرافيا:
- معجم البلدان، لياقوت الحموي.
- 10- مصادره في الفلسفة:
1. الإشارات والتنبيهات، لابن سينا.
 2. النجاة مختصر الشفاء، وهو في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، لابن سينا.
 3. كتاب السياسة المدنية، للفارابي.
 4. أرسطو عند العرب، لعبد الرحمن البدوي.

المبحث الثاني: شخصية الجابري العلمية في التعامل مع المصادر:

سأوضح أسلوب الجابري في التعامل مع المصادر من خلال نقاط رئيسية، هي: أسلوبه في العزو والتوثيق، ثم أسلوبه في المناقشة والاستدلال، ثم أسلوبه في الاختيار والترجيح، مؤيدةً ذلك بالأمثلة ومقتصرةً في ذلك على مثال أو اثنين في كل نقطة.

1- العزو والتوثيق:

ينسب الجابري الأقوال إلى مصدرها أحياناً مثل:

أولاً: بنقل النص كاملاً: فعند الحديث عن مكان نزول سورة القلم نقل قول القرطبي في الرواية المنسوبة إلى ابن عباس رضي الله عنها حول سورة القلم بقوله: "من أولها إلى قوله تعالى: **ثأ ب** بئز (43)، مكّي. ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: **ثئئ** كئ كئ (44)، مدني. ومن بعد ذلك إلى قوله: **ثئئ** (45)، مكّي. ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: **ثئئ** (46)، مدني، وما بقي مكّي" (47).

ونقل تعليق القرطبي على رواية السيدة عائشة رضي الله عنها في نزول سورة المزمل قوله: "وهذا القول من عائشة رضي الله عنها دليل على أن السورة نزلت في المدينة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما دخل عليها فيها، وليس في مكة" (48).

والرواية التي ينقلها الجابري عن عائشة رضي الله عنها هي قولها: "إن الثوب الذي كان الرسول متملاً به حين خاطبته السورة **ثأ** بئز كان عبارة عن مرط طوله أربعة عشر ذراعاً، نصفه عليّ وأنا نائمة، ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي" (49).

وهذه الرواية ذكرها القرطبي عن النخعي مستشهداً بها على أن السورة مدنية (50)، وبين أبو حيان أن هذه الرواية لا صحة لها فقال: "وما روي أن عائشة رضي الله عنها سئلت: ما كان تزميله؟ قالت: كان مرطاً طوله أربع عشرة ذراعاً، نصفه عليّ وأنا نائمة، ونصفه عليه، إلى آخر الرواية كذب صراح، لأن نزول **ثأ** بئز بمكة في أوائل مبعثه، وتزويجه عائشة كان بالمدينة" (51).

وعلى القول بأن سورة المزمل من أوائل ما نزل فيكون نزولها قبل مولد السيدة عائشة رضي الله

43- سورة القلم، الآية: 16.

44- سورة القلم، الآية: 33.

45- سورة القلم، الآية: 47.

46- سورة القلم، الآية: 50.

47- الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 1، ص 31.

48- المرجع السابق، ج 1، ص 31.

49- المرجع السابق، ج 2، ص 314، ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية من حديث سليمان بن أبي كريمة عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة، فذكره سواء وأعله بـابن أبي كريمة وقال إن له مناكير.

50- انظر: أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 19، ص 32.

51- محمد بن يوسف أبو حيان، الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، 1425هـ/ 2005م،

ج 10، ص 311.

عنها.

والجباري يرفض هذا القول ويرى أن سورة المزمل نزلت في أواخر العهد المكي قبل الهجرة بسنة في السنة الثانية عشرة/ الثالثة عشرة للنبوة، حيث يضعها في الرتبة الرابعة والثانين من ترتيب النزول مستشهداً برواية عن سعيد بن جبير فيها: "مكث النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عشر سنين يقومون الليل، فنزل بعد عشر سنين $\text{ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب}$ (52) فحفف الله عنهم" (53).

وهذه الرواية التي ذكرها الجباري يستشهد بها جمهور المفسرين على أن السورة نزلت في أوائل العهد المكي وليس في أواخره كما يقول، مستدلين على ذلك بأن المدة التي مكثها النبي صلى الله عليه وسلم في مكة هي عشر سنين.

مع العلم بأن الجباري يذكر هذه النصوص ويذكر بجانبها صاحب القول من غير ذكر ذلك في الهوامش ومن غير تحديد للكتاب الذي ذكر فيه القول أو تحديد الجزء الذي ذكرت فيه ورقم الصفحات. ثانياً: نقل النص بالمعنى مثل قوله: "ونحن نرى أنه لا معنى لاستنتاج القرطبي من كون الآية استعملت "العلق"، بالجمع، أن المراد هو "الإنسان الجمع"، يعني بني آدم". ذلك أنه لا معنى لمقولة "الإنسان الجمع" (54). والجباري هنا يرفض قول القرطبي مع أن القرطبي قصد من كلامه جنس الإنسان ولم يقصد الجمع كما يدعي الجباري (55).

2- المناقشة والاستدلال:

ناقش قول القرطبي في معنى العلق بقوله: "ونحن نرى أنه لا معنى لاستنتاج القرطبي من كون الآية استعملت "العلق"، بالجمع، أن المراد هو "الإنسان الجمع"، يعني بني آدم". ذلك أنه لا معنى لمقولة "الإنسان الجمع". فالإنسان إما شخص مشار إليه (مفرداً أو جمعاً) وإما نوع (نوع الإنسان، أي مفهومه). وفي القرآن: الإنسان النوع الذي هو آدم قد خلقه الله من طين، أما الإنسان الشخص وهو متعدد (بنو آدم) فقد خلقه من علق. أما الإنسان الشخص الواحد غير المتعدد فلا وجود له يشهد بالصحة لما قلناه قوله تعالى: $\text{ثأ ب ب ب ب ب ب ب ب ب ب}$ (56)، والخطاب هنا عن الإنسان الشخص، هو حسب

52- سورة المزمل، الآية: 20.

53- الجباري، فهم القرآن الحكيم، ج 2، ص 314.

54- المرجع السابق، ج 1، ص 26.

55- انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 20، ص 119.

56- سورة النجم، الآيتان: 45-46.

قتادة رضي الله عنه رُكَّ وُثُ يقول: "طهرها من المعاصي وهي كلمة عربية كانت العرب إذا نكث الرجل ولم يوف بعهده قالوا: إن فلاناً لدنس الثياب وإذا أوفى وأصلح قالوا: إن فلاناً لطاهر الثياب!"⁽⁶⁴⁾.

ونقول هل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيته مضطرباً بسبب انقطاع الوحي - كما يقول الجابري - يؤدي إلى اتساع ثيابه، فيحتاج إلى غسلها وتطهيرها؟ وما علاقة هذا بالسياق، فسياق الآيات كما يقول الجابري يكون كالتالي، الأمر بالإنذار أولاً والتكبير ثانياً ثم غسل الثياب ثالثاً، وترك الاضطراب رابعاً، فهل هذا يصح؟

أما انقطاع الوحي الذي ذكره الجابري فيفصله في كتابه مدخل إلى القرآن الكريم حيث يقول بوجود عدد من الروايات التي تجمع على أن الوحي انقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم مدة من الزمن، بعد أول ما نزل عليه منه رُكَّ... رُكَّ...⁽⁶⁵⁾ ويرجح الجابري الرواية القائلة بأن مقدار انقطاع الوحي كان لمدة سنتين ونصف السنة، ولم يذكر الروايات القائلة بمدة الانقطاع، ثم يقول بوجود رواية عن ابن عباس تقدم تفاصيل لهذا الموضوع وهي: "أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة، سبع سنين يرى الضوء ويسمع الصوت، وثمان سنين يوحى إليه، وأقام بالمدينة عشر سنين"⁽⁶⁶⁾.

ثم يقول: "وإذا أخذنا بالرواية التي تفيد أن رؤيا لقائه الأول مع جبريل ونزول سورة اقرأ قد حدثت في الثانية والأربعين من عمره ثم انقطع اتصال جبريل به بعد ذلك لمدة سنتين ونصف، أو نحو ذلك، فإن مرحلة الوحي المتواصل ستنتقل وهو في نحو الخامسة والأربعين من عمره، وهو ما يتفق مع رواية ابن عباس"⁽⁶⁷⁾.

ثم يقول: "هذا ويمكن الجمع بين الروايات بالقول إن محمداً بن عبد الله قضى في التنحن بغار حراء سبع سنين تلقى خلالها من جبريل، أثناء رؤيا منامية، الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وعمره حينذاك اثنتان وأربعون سنة ونصف السنة، ثم انقطع الوحي لمدة سنتين ونصف ليستأنف بالآيات

64 - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/1990م، ج6، ص451.

65 - سورة العلق، الآية: 1.

66 - أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني البيهقي، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، ودار الريان للتراث، ط1، 1408هـ/1988م، باب ما جاء في مبلغ سن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم توفي، ج7، ص240، وقال البيهقي، أخرجه مسلم في الصحيح من أوجه أخر، عن حماد حديث رقم: 123.

67 - الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن، ص104.

الأولى من سورة المدثر وعمره نحو خمس وأربعين سنة" (68).

هذا ولدراسة الموضوع لا بد من استعراض الروايات الواردة في انقطاع الوحي كما وردت في

الكتب الصحيحة وهي:

أولاً: ما ورد في صحيح البخاري، وهما روايتان الأولى وردت في كتاب التفسير، سورة الشرح: عن الأسود بن قيس قال: سمعت جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثة، فأنزل الله عز وجل: ﴿رَجَّحْنَا كِتَابَ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ لَمْ يُقِرُّوا بِمَا كَتَبُوا وَهِيَ حَقٌّ وَمَا يَذَّكَّرُ فَهُمْ نَعْدُ﴾ (69).
والرواية الثانية: عن الأسود بن قيس قال: سمعت جندباً البجلي: قالت امرأة: يا رسول الله، ما أرى صاحبك إلا أبطأك، فنزلت: ﴿رَجَّحْنَا كِتَابَ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ لَمْ يُقِرُّوا بِمَا كَتَبُوا وَهِيَ حَقٌّ وَمَا يَذَّكَّرُ فَهُمْ نَعْدُ﴾ (70).

ثانياً: ما ورد في صحيح مسلم، وهما روايتان وردتا في باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين وهما، الأولى: عن الأسود بن قيس أنه سمع جندباً يقول: أبطأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال المشركون: قد وُدَّعَ محمد. فأنزل الله عز وجل: ﴿رَجَّحْنَا كِتَابَ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ لَمْ يُقِرُّوا بِمَا كَتَبُوا وَهِيَ حَقٌّ وَمَا يَذَّكَّرُ فَهُمْ نَعْدُ﴾ (71). والثانية: هي نفس الرواية الأولى الواردة عند البخاري.

وبعد العرض لهذه الروايات نستنتج بأن الرواية الأولى، تتحدث عن شكوى النبي ليلتين أو ثلاث وليس عن انقطاع الوحي كما يقولون ويدل على ذلك استشهاد البخاري بهذه الرواية في باب ترك القيام للمريض. والرواية الثانية تحدثت عن إبطاء جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم تحدد المدة الزمنية لهذا الانقطاع.

أما الرواية التي استشدها الجابري عن ابن عباس فقد استشدها بها البيهقي في باب ما جاء في مبلغ سن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم توفي وليس كدليل على انقطاع الوحي عن الرسول صلى الله

68- المرجع السابق، ص 104.

69- صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الضحى، باب قوله: ﴿رَجَّحْنَا كِتَابَ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ لَمْ يُقِرُّوا بِمَا كَتَبُوا وَهِيَ حَقٌّ وَمَا يَذَّكَّرُ فَهُمْ نَعْدُ﴾، حديث رقم: 4950، ص 982، وأبواب التهجد، باب ترك القيام للمريض، حديث رقم: 1124، ص 223، وكتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، حديث رقم: 4983، ص 991.

70- صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الضحى، باب ﴿رَجَّحْنَا كِتَابَ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ لَمْ يُقِرُّوا بِمَا كَتَبُوا وَهِيَ حَقٌّ وَمَا يَذَّكَّرُ فَهُمْ نَعْدُ﴾، حديث رقم: 4951، ص 982.

71- صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم: 1797، ص 993.

عليه وسلم، فتحدث فيها ابن عباس عن المدة التي أقامها النبي صلى الله عليه وسلم في مكة بعد الوحي والمدة التي أقامها في المدينة.

ولقد ذكر العيني في عمدة القاري عن مدة بطء الوحي فقال: "أن مدة بطء الوحي اختلف فيها فقيل أربعون يوماً كما ذكر في رواية إسماعيل بن أبي زياد وقيل خمسة عشر يوماً كما ذكر في كتاب المعاني للفراء وقيل خمسة وعشرون يوماً وعن ابن جريج اثني عشر يوماً"⁽⁷²⁾، ولم يذكر رواية تدل على أن الوحي انقطع لمُدستين ونصف.

أيضاً هل يقبل العقل البشري القول بانقطاع الوحي عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مدة تقدر بستين ونصف بشكل متتابع ويكون هذا الانقطاع بعد أول لقاء للنبي صلى الله عليه وسلم؟ إن هذا القول لا يقبله العقل البشري حيث إن ذلك يؤدي إلى عدم تصديق النبي صلى الله عليه وسلم والابتعاد عنه وعدم قبول الدعوة منه بأي حال من الأحوال.

أيضاً في قول الجابري ادعاء بأن النبي صلى الله عليه وسلم تلقى الآيات الخمس الأولى من سورة العلق من جبريل عن طريق الرؤيا المنامية وهذا مناقض لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الوارد في كيفية بدء الوحي للنبي، وحديث نزول الآيات الخمس الأولى من سورة العلق وما حصل فيه من حوار بين النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل، وما حصل فيه من غط للنبي من قبل جبريل يناقض أن يكون رؤيا منامية، ففي الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول" قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً"⁽⁷³⁾.

المبحث الثالث: شواهد وقيمتها التفسيرية:

يأتي الجابري في تفسيره بشواهد يستدل بها على صحة ما يقول من آراء فيستدل على ذلك بـ: الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والسيرة النبوية وروايات التوراة والإنجيل والبحث اللغوي المقارن وسنعرض لهذه الشواهد من خلال المباحث التالية:

72- العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، باب ترك القيام للمريض، ج 11، ص 257.

73- البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: 2.

أولاً: الآيات القرآنية:

تعد طريقة تفسير القرآن بالقرآن من أجل الطرق وأفضلها في التفسير وذلك، لأن القرآن الكريم خير ما يلجأ إليه في تفسير آياته، لأن ما أجل في مكان فصل في مكان آخر، وما قيد في مكان أطلق في مكان آخر، وينطلق الجابري في تفسيره للقرآن الكريم مبيناً منهجه في التعامل مع القرآن بوصفه معاصراً لنفسه ومعاصراً لنا في نفس الوقت، حيث يرى بأن أفضل طريقة لبيانه هو القرآن وذلك، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً فيقول: "لعل كثيراً من القراء الذين يتابعون أعمالنا يذكرون أننا قد حددنا لأنفسنا منذ أزيد من ربع قرن (منذ مقدمة نحن والتراث منهجاً ورؤية في ما نقوم به من أبحاث في موروثنا الثقافي). من ركائز هذا المنهج/ الرؤية: جعل المقروء معاصراً لنفسه ومعاصراً لنا في الوقت نفسه. ولما كان الأمر يتعلق هنا بالقرآن فإن أحسن طريق إلى تطبيق هذا المنهج/ الرؤية في التعامل معه هو، في نظرنا، ذلك المبدأ الذي نادى به كثير من علماء الإسلام، مفسرين وغيرهم، وهو أن القرآن يشرح بعضه بعضاً"⁽⁷⁴⁾.

ومع ذلك فإن الجابري لا يلتزم بهذا المنهج إلا في مواضع قليلة فيقول عند تفسير الآية وهذا من نظير قوله، أو معنى هذه الآية يتكرر في عدة سور، وهذا لا يعتبر من قبيل تفسير القرآن بالقرآن عند العلماء، وأرى أنه من باب الاستدلال على المعنى، وليس من باب تفسير القرآن بالقرآن ومن أمثلة ذلك:

1- عند قوله تعالى: **ثُتُّ ثُتُّ ثُتُّ ثُتُّ** ف **فُزُّ**⁽⁷⁵⁾ يقول: نظير قولهم: **عَ عَ عَ عَ**

كُ كُ كُ كُ كُ كُ كُ⁽⁷⁶⁾"(77).

وتعتبر هذه الآية آية سورة الإسراء من المواطن التي استشهد بها المفسرون على تفسير آية سورة المدثر، وبالعكس ومن الآيات الأخرى التي استشهد بها المفسرون مثل قوله تعالى: **ثُ ثُ ثُ ثُ** **قَ قَ قَ قَ** **كُ كُ كُ كُ**

قُ قُ قُ قُ قُ قُ قُ⁽⁷⁸⁾ وقوله تعالى: **هُ هُ هُ هُ هُ هُ هُ هُ هُ هُ هُ**⁽⁷⁹⁾ وقوله تعالى: **بُ بُ بُ بُ بُ بُ بُ**

74- الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن، ص 28.

75- سورة المدثر، الآية: 52.

76- سورة الإسراء، الآية: 93.

77- الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 1، ص 173، الهامش.

78- سورة طه، الآية: 133.

79- سورة النساء، الآية: 153.

وخلاصة القول لا يعد ما ذكره الجابري في هذا الباب من تفسير القرآن بالقرآن وإنما هو من باب الاستدلال والاستشهاد على المعنى.

ثانيًا: الأحاديث النبوية:

اعتمد المفسرون على أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم في تفسير الآيات القرآنية وذلك، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المفسر الأول للقرآن الكريم ثم الصحابة من بعده. والجابري يرى بأنه لا بد من الأخذ بالروايات التفسيرية ولكن ضمن شروط بينها بقوله: "سنعتمد هذا المبدأ، إذًا مبدأ أن القرآن يفسر بعضه بعضًا ولكن من دون إقصاء الروايات التي يعتمدها التفسير بالمأثور إقصاء كليًا، بل سنتعامل إيجابيًا مع كل اجتهاد أو رواية نجد في القرآن ما يشهد لها بالصحة، من قريب أو بعيد. ذلك هو سلاحنا ضد الوضع، سواء كان بدافع الترغيب والترهيب أو بدوافع مذهبية أو سياسية، وهو سلاحنا أيضًا ضد الإسرائيليات وأنواع الموروث القديم السابق على الإسلام" (88).

ومع اعتماد الجابري لهذه المبادئ فإن استشهاده بالأحاديث النبوية قليل جدًا، ومنها ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف، بالإضافة إلى أنه يطعن في بعض الأحاديث الصحيحة ويضعفها لعدم موافقتها للسياق ويصحح بعض الأحاديث الضعيفة لموافقتها لسياق الآيات، وهو بذلك لا يتبع الأسلوب العلمي في التصحيح والتضعيف، وأحيانًا يشكك في صحة الحديث الضعيف، وفي بعض الأحيان يضيف عبارات على الحديث من عنده، للاستدلال على رأيه، وأحيانًا ينسب قولًا للرسول وهو قول لصحابي أو غيره، ونستدل على ذلك بثلاثة أمثلة هي:

أولًا: عند قوله تعالى: ﴿رُجِحَ﴾ **چ چ چ چ** (89) يقول: "والمعنى: ابدأ القراءة بذكر "اسم ربك"، تيمناً وتبركاً. وهذا يجري مجرى عادة العرب في التبرك بذكر واحد من ألهتهم. فكانوا يقولون: باسم اللات، باسم العزى... وفي الحديث أنه عندما أخذ النبي عليه السلام يملي على علي بن أبي طالب نص وثيقة صلح الحديبية قائلاً: "اكتب بسم الله الرحمن الرحيم"، اعترض ممثل قريش وقال: "ما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم". ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللهم" وتعني: باسمك يا الله" (90).

88- الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن، ص 28.

89- سورة العلق، الآية: 1.

90- الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 1، ص 25.

والرواية كما وردت في صحيح البخاري هي: "... قال معمر: قال الزهري في حديثه: ف جاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "بسم الله الرحمن الرحيم".

قال سهيل: أما الرحمن ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اكتب باسمك اللهم..."⁽⁹¹⁾. وتبين الرواية ان الذي اعترضوا عليه هو اسم الرحمن، وأن باسمك اللهم مما كان متداولاً بينهم.

ثانياً: عند بيان العلاقة بين "اقرأ" و"القلم"، بين القراءة والكتابة، قال: "يشرحها حديث النبي عليه السلام عن ابتداء نزول الوحي عليه، حيث قال: "جاءني جبريل، وأنا نائم (في رؤيا المنام)، بنمط (وعاء) من ديباج (ثوب فارسي مزركش) فيه كتاب، فقال: اقرأ! قال (النبي): ما أقرأ؟ وفي رواية أخرى: ماذا أقرأ؟ وفي أخرى: ما أنا بقارئ"⁽⁹²⁾.

وهذه الرواية ذكرها ابن حجر في فتح الباري في شرح حديث نزول قوله تعالى: ﴿يٰۤاَيُّهَا ٱلَّذِي ءَآتَىٰ ٱلْوَحْيَ ٱلْبَيِّنَ ٱلْحَقِيقَۃَ ۚ ٱذْكُرْ ٱلنَّبَءَ ٱلأَوَّلَ﴾ ولم يذكر فيها وأنا نائم، وقال عنه: وقع عند ابن إسحاق، في مرسل عبيد بن عمير⁽⁹⁴⁾، وزاد الجابري جملة "وأنا نائم" لأنه يقول بأن الوحي كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم برؤيا المنام وليس في الحقيقة. ونرد عليه بأن حالات الوحي التي وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم تبين أنه كان يأتيه على الحقيقة وليس رؤيا منام كما يقول الجابري، فأحياناً يكون مثل صلصلة الجرس، وهذه الحالة تستدعي من الرسول أن يكون يقظاً غير نائم لما يعانیه من الشدة، وأحياناً يتمثل له بهيئة رجل يكلمه وهذه الحالة أيضاً تكون في حال اليقظة وليس رؤيا منام.

وخلاصة القول أن الجابري يستشهد بأحاديث نبوية في تفسيره منها ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف، ومنهجه في الأخذ بهذه الأحاديث أنه أحياناً يضعف الروايات الصحيحة الواردة في البخاري ومسلم وأحياناً يشكك في صحتها، وأحياناً يصحح الحديث الضعيف، ويقوم الجابري بهذا الأمر ليستدل به على صحة رأيه أو لمناسبته للسياق كما يراه هو، ومن غير اتباع لمنهج علماء الجرح والتعديل في تصحيح

91- صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، حديث رقم: 2731، 2732، ص 522.

92- الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 1، ص 27.

93- سورة العلق، الآية: 1.

94- انظر: ابن حجر، فتح الباري بشرح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله سورة اقرأ، ج 10، ص 346، وقال عنه: وقع عند ابن إسحاق في مرسل عبيد بن عمير.

الحديث وتضعيفه.

ثالثاً: السيرة النبوية:

يرى الجابري أنه لا بد من تفسير القرآن وترتيبه بالنظر إلى السيرة النبوية وذلك، ليطابق بين مسار التنزيل ومسيرة الدعوة، حيث يظهر ذلك واضحاً جلياً في جميع سور القرآن التي فسرها الجابري. يقول الجابري عن هذا النوع من التفسير: "يمكن القول، دون فخر زائد ولا تواضع زائفة، إنه لأول مرة أصبح ممكناً عرض القرآن ومحاولة فهمه بكلام متصل مستمر يشد بعضه بعضاً، كلام يلخص مسار التنزيل ومسيرة الدعوة في تسلسل يرضي النزوع المنطقي في العقل البشري، وقد أمكن ذلك باعتماد خطوات منهجية لم يسبق أن طبقت في أي نوع من أنواع التفاسير السابقة"⁽⁹⁵⁾.

وهذا القول من الجابري غير صحيح، لوجود مؤلفات سابقة تناولت السيرة النبوية في القرآن الكريم، مثل: كتاب عبد الصبور مرزوق السيرة النبوية في القرآن الكريم، وكتاب الدكتور عمر يوسف حمزة العرض القرآني لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى ما ورد في التفاسير من عرض لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وبذلك فهو ليس أول من حاول مطابقة السيرة النبوية مع آيات القرآن الكريم. ومنهج الجابري في عرض روايات السيرة يتبع فيها نفس الأسلوب المتبع في أخذه للأحاديث النبوية من حيث التصحيح والتضعيف، وعدم مراعاة مناهج العلماء المتبعة في تصحيح الرواية أو تضعيفها، بل أنه يصححها لمجرد موافقتها للسياق من وجهة نظره أو موافقتها لرأيه أو موافقتها للفترة الزمنية التي اختارها لنزول هذه السورة، وسوف نستعرض هذا المبحث من خلال الأمثلة التالية:

أولاً: عند بيان سورة الكافرون يقول: "ذكر ابن إسحاق في السيرة أن رجلاً من كبار قريش اعترضوا الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يطوف بالكعبة فقالوا: "يا محمد، هلمّ فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد، كنت قد أخذت بحظك منه"⁽⁹⁶⁾.

ثم علق على هذه الرواية بقوله: "وهذه الرواية⁽⁹⁷⁾، إن صحت، والغالب أنها صحيحة،

95- الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 2، ص 391.

96- الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 1، ص 72.

97- أخرج هذه الرواية: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: محمود شاكر الحرساني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، ج 30، ص 404، وعبد الرحمن ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم المسمى بالتفسير بالمأثور، تحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن حجازي، دار الكتب

تنسجم مع سياق السور السابقة فضلاً عن أنها تعكس فعلاً "عقلية" كبار قريش التجارية: لقد كانوا تجارًا وكانوا يمارسون ديانتها بوصفها جزءًا من تجارتهم⁽⁹⁸⁾.

والجابري هنا يصحح الرواية مع أنها ضعيفة، فقط لانسجامها مع سياق السورة، ولأنها تعكس صورة عن مجتمع قريش، ومن غير اتباع لقواعد العلماء في التصحيح والتضعيف. وسبقه بهذا القول دروزة حيث يرى "بأن الرواية محتملة الصحة على ما تلهمه روح الآيات، ويؤيدها آية سورة القلم: رُوِّ وَ وَرَّ(99)"⁽¹⁰⁰⁾. وهذه الرواية كما وصفها ابن حجر في إسناده أبو خلف عبد الله بن عيسى، وهو ضعيف.

ثانيًا: عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَالصَّالِحِينَ وَابْتِغُوا إِلَهَكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ذكر رواية عن ابن اسحاق هي: "دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم إلى الله فقال له بعضهم: على أي دين أنت يا محمد؟ قال على ملة إبراهيم ودينه قالوا: فإن إبراهيم كان يهوديًا. فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلم إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه. فأنزل الله تعالى فيهم الآية أعلاه⁽¹⁰²⁾."

وهذه الرواية ذكرها أبو حيان والقرطبي والثعالبي والواحدي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَالصَّالِحِينَ وَابْتِغُوا إِلَهَكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، والمفسرون مثل الطبري والقرطبي وأبو حيان يرون أن هذه الآية نزلت في اليهود أو في رفاعة بن زيد بن السائب اليهودي كان إذا

العلمية، بيروت، ط1، 1427هـ/2006م، حديث رقم: 20079، ج7، ص574، وابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1375هـ/1955م، ج1، ص362، وقال عنه ابن حجر: وفي إسناده أبو خلف عبد الله بن عيسى وهو ضعيف.

98- الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج1، ص72.

99- سورة القلم، الآية: 9.

100- دروزة، التفسير الحديث، ج2، ص26.

101- سورة النساء، الآية: 44.

102- الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج3، ص223، الهامش.

103- سورة آل عمران، الآية: 23، أبو حيان، البحر المحیط، ج3، ص80-81، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص50، وعبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، ج1، ص239، والواحدي، أسباب النزول، ص63.

كَلَّمَ الرسول لوى لسانه(104).

وهنا كما يلاحظ ينقل الجابري سبب نزول آية لآية أخرى، فسبب النزول الذي ذكره هنا هو لآية من سورة آل عمران وليس لآية النساء، مما يؤدي إلى الفهم الخاطئ للآية، ويدل على عدم تحري الدقة في نقل أسباب النزول.

رابعاً: الاستدلال بالقراءات القرآنية:

اهتم المفسرون بذكر القراءات القرآنية في تفاسيرهم وذلك لما فيها من زيادة إيضاح وبيان ولما فيها من توضيح أحكام شرعية وتأكيدا للناس، ولكن الجابري لم يهتم بهذا الجانب كثيراً، ويظهر ذلك من خلال تفسيره بحيث إنه لم يذكر من القراءات إلا الشيء القليل، معتمداً على القراءات الصحيحة والشاذة سواء من غير تفريق بينها، ومن الأمثلة على ذلك: عند بيانه لسورة العصر يقول: "روي أن علياً بن أبي طالب كان يقرأ الآية كما يلي: "والعصر ونوائب الدهر، إن الإنسان لفي خسر، وإنه فيه إلى آخر الدهر"، وكأنه يحكي حاله بعد تعيين عثمان خليفة!(105)(106). وجاء في المستدرک: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(107)، وهذه القراءة لم ترد مع القراءات المتواترة.

خامساً: ربط الآيات ببعضها البعض "السابق باللاحق":

من الأمور التي اهتم بها بعض المفسرين في تفاسيرهم دلالة السياق ومن الأمور المعينة على ذلك ربط السابق باللاحق ومنها ربط السور بعضها ببعض وربط الآيات بعضها ببعض، وذلك لما لها من أهمية في فهم الآيات القرآنية، والجابري كان من الذين اهتموا بربط الآيات بعضها ببعض بما يتناسب مع رأيه الذي قال به، أما السور فلا نجد له اهتمام بذلك، وذلك بسبب ما فعله من ترتيب القرآن حسب النزول، فنتج عنه عدم توافق السور بعضها مع بعض، كما في الترتيب المصحفي ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

104 - انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، ج 5، ص 140، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 5، ص 242،

وأبو حيان، البحر المحيط، ج 3، ص 657.

105 - الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 1، ص 62.

106 - وقد جاءت هذه الرواية عن علي رضي الله عنه من طريق عمرو بن ذي مر فأخرجها الطبري في تفسيره، ج 30،

ص 290، والحاكم في المستدرک، ج 2، ص 582، رقم: 3971 وعزاها السيوطي إلى عبد بن حميد وابن أبي داود في

المصاحف، والدر المنثور، ج 6، ص 392، كلهم من طريق عمرو بن ذي مر الهمداني الكوفي وهو مجهول كما ذكر

ذلك ابن عدي والبخاري، ميزان الاعتدال، ج 5، ص 354، والقاري، شم العوارض في ذم الروافض، ص 84.

107 - الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج 2، ص 534.

1- عند قوله تعالى: ز ي پ پ ي پ ن ن ذ ن ت ت ت ت ت ت ت (108)، بعد مناقشة الآراء المعروضة في مسألة الرؤية، يعرض رأيه، فيقول: "أما نحن فنرى أن الذي أدى إلى الانسياق مع هذا النوع من "الكلام" هو الانغلاق في الألفاظ وإهمال السياق. ذلك أن قوله تعالى: ز ي پ پ ي پ ن ن ذ ن ت ت ت ت ت ت ت (109)، ليس قولاً مستقلاً معزولاً، بل هو مرتبط بما بعده أعني قوله: ز ن ت ت ت ت ت ت ت (110) فلفظ "ناصرة" يقابله لفظ "باسرة" أي ضده (وهو كالحلة)، كما إن لفظ "ناظرة" يقابله لفظ "فاقرة" بمعنى: عقاب. ونحن نرى أن انتظار العقاب ضده انتظار الثواب. وإذا فالسياق التقابلي يقتضي أن يكون مقابل ز ن ت ت ت ت ت ت ت هو ز ي پ ن ن ذ ن ت ت ت ت ت ت ت. وهناك من المعتزلة من اقترح قراءة عبارة ز ي پ ن ن ذ ن ت ت ت ت ت ت ت "آلاء رها ناظرة"، أي تنتظر نعم رها! ولكن الانتقال من "إلى" إلى "آلاء" يصعب تبريره، حتى ولو استحضرنا اختلاف القراءات، وعدم التنقيط في الكتابة العربية" (111).

والجباري هنا يتهم العلماء السابقين بالانغلاق في الألفاظ وإهمال السياق، وهذا مردود عليه، لوجود التفاسير الكثيرة التي تهتم بالألفاظ ومعانيها، ووجود التفاسير الأخرى التي تهتم بالسياق وربط الآيات ببعضها البعض والسور ببعضها البعض مثل: نظم الدرر للبقاعي... إلخ. ويرى أن تفسير العلماء لقوله تعالى: ز ي پ پ ي پ ن ن ذ ن ت ت ت ت ت ت ت بإثبات النظر إلى وجه الله عز وجل قول فيه انغلاق وإهمال للسياق ويرى أنه لا بد من مقابلة الألفاظ في الآيات مع بعضها البعض فيقابل لفظ ناصرة بلفظ باسرة ولفظ ناظرة بلفظ فاقرة مع أن المقام هنا هو مقام تفصيل وتنوع وليس مقابلة لفظ بلفظ ولذلك جاز الابتداء بـ: "وجوه" مع كونه نكرة (112).

ويرى الجباري أن معنى ناظرة أي تنتظر ثواب رها، وهذا القول نقل عن مجاهد وقال عنه ابن كثير: "رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد،... "فقد أبعد هذا القائل النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه. وأين هو من قوله تعالى: ز ن ت ت ت ت ت ت ت (113) قال الشافعي رحمه الله: ما حَجَبَ الفجَار إلا وقد عَلم أن

108 - سورة القيامة، الآيات: 22-25.

109 - سورة القيامة، الآيتان: 22-23.

110 - سورة القيامة، الآيتان: 24-25.

111 - الجباري، فهم القرآن الحكيم، ج 1، ص 152.

112 - انظر: الشوكاني، فتح القدير، ج 5، ص 339.

113 - سورة المطففين، الآية: 15.

الأبرار يروونه عز وجل، ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة، وهي قوله: "ث ن ث" (114).

وقال عنه القرطبي: "وقول مجاهد إنها بمعنى تنتظر الثواب من ربها ولا يراه شيء من خلقه، فتأويل مدخول، لأن العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا نظرت، كما قال تعالى: "ث ن ث" (115)، "ث ن ث" (116)، و"ث ن ث" (117) وإذا أرادت به التفكير والتدبر قالوا: نظرت فيه، فأما إذا كان النظر مقرونا بذكر إلى، وذكر الوجه، فلا يكون إلا بمعنى الرؤية والعيان" (118). وفي اللغة تأتي ناظرة من النَّظَرَ: بمعنى تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الرؤية، واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة، قال تعالى: "ث ن ث" (119). والنَّظَرُ: بمعنى الانتظار، يقال: نظرته وانتظرته وأنظرته، أي: أخرته. قال تعالى: "ث ن ث" (120).

أما فاقرة التي ذكر الجابري أنها بمعنى عقاب فلم يرد في اللغة ما يدل على هذا المعنى وإنما جاءت من فقر وهي: بمعنى المكسور الفقار، يقال: فقرته فاقرة، أي داهية تكسر الفقار، وقيل: هو من الفقرة أي: الحفرة، ومنه قيل لكل حفرة يجتمع فيها الماء: فقير (121).

ويؤيد الجابري رأيه بما اقترحه المعتزلة من قراءة "آلاء ربها ناظرة" أي تنتظر نعم ربها وللرد على ذلك فنقول إن القراءة القرآنية لا بد أن تكون قراءة متواترة متصلة السند بالنبي صلى الله عليه وسلم وليس بالاقتراح.

وذكر البقاعي أن وجه الربط بين الآيتين هو أنه لما ذكر الآخرة التي أعرضوا عنها، ذكر ما يكون

114 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 280.

115 - سورة الزخرف، الآية: 66.

116 - سورة الأعراف، الآية: 53.

117 - سورة يس، الآية: 49.

118 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 19، ص 109.

119 - سورة القيامة، الآيتان: 22-23.

120 - سورة هود، الآية: 122، انظر: الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ص 812-813.

121 - الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ص 642.

فيها بياناً بجهلهم وسفههم وقلة عقلهم، ترهيباً لمن أدبر عنها وترغيباً لمن أقبل عليها لطفاً بهم ورحمة لهم، فذكر أهل النعمة الذين يتنعمون بالنظر لوجهه الكريم، ثم أتبعه أصدادهم من أهل النعمة، وأنهم عن ربهم محجوبون، وإلى أنواع العذاب ناظرون⁽¹²²⁾.

وخلاصة القول فالجباري يتهم المفسرين بعدم اتباع سياق الآيات القرآنية وهذا مخالف لحال المفسرين في تفاسيرهم، ويخرج الجباري عن سياق الآيات في كثير من الأحيان، من غير داع إلى ذلك، ويستشهد الجباري بسياق الآيات لمساندة فكرة أو رأي خاص به مخالف لما عليه المفسرون، وغير مناسب لسياق الآيات.

سادساً: الاهتمام بأسباب النزول:

لقد اهتم المفسرون بأسباب النزول كعنصر رئيسي، لبيان معاني الآيات القرآنية لما لها من شأن عظيم في بيان ما غمض منها، والجباري من الذين اهتموا بأسباب النزول في بيان معاني الآيات ولكن مع نظرة خاصة به في ذلك، وليبيان ذلك لا بد من استعراض رأيه في أسباب النزول في عدة نقاط هي:

- 1- قبول الأسباب الواردة في الآيات.
- 2- رفض الأسباب الواردة في الآيات وذلك لعدة أسباب منها:
 - أ- رفض الأسباب الخاصة ببعض الآيات لعدم تناسبها مع نزول القرآن الكريم وذلك لتقطع الآيات عن بعضها البعض.
 - ب- برفض الأسباب الخاصة ببعض الآيات لنزول السورة دفعة واحدة، وعندها لا يعتبر كسبب نزول ويجب أن يوضع في سياق خاص مثل سورة الأنعام.
 - ج- رفض أسباب النزول لعدم تناسبها مع مضمون السورة.
 - د- رفض أسباب النزول باعتبار أنها مختلفة اختلافاً لتطابق آية سبق أن نزلت، يقول الجباري في ذلك: "القاعدة هي أن ما يسمى "أسباب النزول" إنما يبحث عنها أو تختلق اختلافاً لتطابق آية سبق أن نزلت. فهي محاولة بعدية للشرح وليست سابقة للنزول، إلا ما يزيه لفظ النزول مثل هذه الأسبقية"⁽¹²³⁾.
- 3- عدم إيراد أسباب نزول لبعض السور.

122- انظر: البقاعي، نظم الدرر، ج 8، ص 252-253.

123- الجباري، فهم القرآن الحكيم، ج 3، ص 205-206، الهامش.

ولبيان هذه النقاط فإننا نفضلها من خلال المثال التالي:

يرفض الجابري سبب نزول قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَزَلْنَا فِي سَكِينٍ مِّنْ رَبِّنَا أَنزِيلًا﴾ (124) حيث ورد في المصادر رواية تقول: "لما نزل قوله تعالى في هذه السورة: ﴿ثُمَّ نَزَلْنَا فِي سَكِينٍ مِّنْ رَبِّنَا أَنزِيلًا﴾، قال أبو جهل بعدها: "ذاك إلينا، إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم"، فأنزل الله ﴿ثُمَّ نَزَلْنَا فِي سَكِينٍ مِّنْ رَبِّنَا أَنزِيلًا﴾ (126). قال الجابري: "وهذا نموذج من نماذج كثيرة من روايات "أسباب النزول"، حيث تقتطع آية واحدة، وأحياناً جزء من آية، ليؤتى لها بسبب نزول يخصها بمفردها من غير اعتبار لما قبلها وما بعدها، ولا للسياق الذي تنتمي إليه. والحق أن النموذج الذي بين أيدينا هنا أخف من نماذج كثيرة، لأنه يتعلق بأخر آية من السورة. الشيء الذي يسمح بافتراض أن السورة كانت قد ختمت أصلاً بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَزَلْنَا فِي سَكِينٍ مِّنْ رَبِّنَا أَنزِيلًا﴾ (127). ثم كان تعليق أبي جهل، ثم جاء الرد عليه. ولو فرضنا أن

أبو جهل لم يتدخل لكأن السورة قد ختمت بهذه الآية. أعني قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَزَلْنَا فِي سَكِينٍ مِّنْ رَبِّنَا أَنزِيلًا﴾ (128).

والجابري هنا يرى أن سبب النزول لهذه الآية مقحم هنا من غير اعتبار لما قبلها وما بعدها، ولا للسياق الذي تنتمي إليه، يقول الجابري: "وإذا فإقحام رواية تدخل أبي جهل هنا فضلٌ وزيادة. ونحن إنما أثرناها هنا لأننا لا نستبعد أن تكون هذه الرواية وضعت تحت تأثير الخلاف الحاد الذي نشب بين المعتزلة من جهة وأهل السنة والأشاعرة من جهة أخرى حول مسألة الجبر والاختيار" (129).

والجابري هنا لم يراع قواعد العلماء في الأخذ بأسباب النزول ويعترض على سبب النزول لمجرد كونه خاصاً بآية واحدة من السورة متناسياً أن المناسبة الواحدة قد يتنزل فيها آية أو آيتين أو أكثر من آية، ويعتبر أن قول أبي جهل مقحم في هذا السياق، مع أن سياق الآيات يبين أن الله أنزل هذا القرآن ذكراً وموعظةً للخلق أجمعين، لمن يشاء أن يتبع الحق ويقيم عليه، ثم أعلمهم أن التوفيق إليه لا يتم إلا بمشيئة الله. واحتمالية مجيء كلام أبي جهل في هذا المكان غير مستبعدة حيث أن الرواية تقول: "لما نزل قوله

124 - سورة التكويد، الآية: 29.

125 - سورة التكويد، الآية: 28.

126 - السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص 227، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم.

127 - سورة التكويد، الآية: 28.

128 - الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 1، ص 41.

129 - المرجع السابق، ج 1، ص 41-42.

تعالى في هذه السورة: ژ □ □ □ □ ژ⁽¹³⁰⁾، قال أبو جهل بعدها: "ذاك إلينا، إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم"، فأنزل الله ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □، فقول أبي جهل بعد نزول الآية مباشرة، فأنزل الله الآية الأخيرة من السورة.

سابعًا: روايات التوراة والإنجيل:

من الأمور التي اهتم بها الجابري في تفسيره الأخذ بروايات التوراة والإنجيل لتوضيح بعض جوانب القصص القرآني، وبين الجابري رأيه في الاستعانة بهذه الروايات، لاستعانة جمهور المفسرين ورواية الحديث بالروايات الإسرائيلية، وأنها كانت منتشرة ومقبولة في زمن النبوة والصحابة فيقول: "فإن بعض مفسري القرآن قد استعانوا، في تفصيل القول في ما ذكره القرآن من قصص الأنبياء ومن أخبار عن القرون الماضية وتصورات حول نهاية العالم وقيام الساعة وحديث الجنة والنار... إلخ، أقول: استعانوا في الحصول على تفاصيل في هذه الموضوعات بما عرف به: "الإسرائيليات". ولم يكن اعتماد جمهور المفسرين ورواية الحديث على هذه الإسرائيليات مما يثير الحرج في نفوسهم، فلقد كانت حاضرة ومقبولة زمن النبوة والصحابة بسبب عاملين اثنين: أولهما نشاط من يطلق عليهم "مسلمة اليهود"، أي اليهود الذين أسلموا وكان بعضهم على دراية بالتراث اليهودي التوراتي. وثانيهما أن نسخًا من التوراة نفسها كانت متداولة لدى الصحابة زمن النبوة وقبلها"⁽¹³¹⁾.

ويعتبر الجابري أن روايات التوراة والإنجيل لها قيمة تاريخية مستشهدًا بقول ابن خلدون في المقدمة فيقول: "لقد لاحظ صاحب المقدمة أن كتب المفسرين" تشمل على الغث والسمين والمقبول والمردود" والسبب في ذلك كما يقول "أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية. وإذا تشوفوا إلى معرفة شيء مما تشوف إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإننا يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب"⁽¹³²⁾.

130 - سورة التكويد، الآية: 28.

131 - محمد عابد الجابري، نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،

ط3، 2010م، ص 80-81.

132 - المرجع السابق، ص 81.

بهائم كثيرة؟" (134).

والجباري يذكر في بداية الكلام أن القرآن كله لا يذكر أي شيء عن قصة يونس وهذا القول غير صحيح، حيث ذكر يونس عليه السلام باسمه الصريح أربع مرات في القرآن، ويوجد سورة في القرآن تحمل اسمه، ووردت إشارة إلى قصته دون التصريح باسمه في سورتين، فيكون ذكره قد ورد في ست سور من القرآن.

ففي سورة النساء وسورة الأنعام ورد اسم يونس ضمن أسماء أنبياء آخرين، وفي سورة يونس وردت إشارة سريعة إلى إيمان قوم يونس، ورفع العذاب عنهم بسبب إيمانهم، وفي سورة الأنبياء وردت إشارة سريعة إلى محنة يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت، واستغاثته بالله واستجابة الله له، ولم يرد اسم يونس صريحًا، وإنما أطلق عليه لقب "ذي النون"، وفي سورة الصافات وردت إشارة سريعة إلى محنة يونس عليه السلام، عندما غادر قومه، وألقي في السفينة، والتقمه الحوت، وسبح الله وهو في بطنه، وطرحه الحوت على الشاطئ، وأثبت الله عليه شجرة يقطين، وأعادته إلى قومه فوجدهم مؤمنين، وفي سورة القلم أيضًا وردت إشارة سريعة إلى محنة يونس عليه السلام، وذلك في سياق توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبر، ونهيه عن التصرف كما تصرف يونس عليه السلام.

هذا ما ورد في القرآن الكريم عن يونس عليه السلام وقصته مع قومه، وهو خلاف ما عرضه الجباري عن هذه القصة من مرويات فيها ما فيها من الإساءة للنبي يونس عليه السلام يتعارض مع عصمة الأنبياء، فمن المستحيل أن يغضب يونس على ربه من أجل يقطينة.

بالإضافة إلى أن ما ذكره الجباري من مرويات لا تتناسب مع السياق الذي ذكره وهو سياق سورة القلم، حيث جاءت الآيات لتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصبر على قومه ونهيه عن التصرف كما تصرف يونس عليه السلام.

ويستشهد الجباري بروايات من التوراة فيها إساءة للأنبياء تتنافى مع عصمتهم، ويفسر فيها الآيات القرآنية غير مراعية لما فيها من أخطاء وأكاذيب، وهذا ما يرفضه علماء المسلمين.

ولم يراع الجباري في ذلك سياق الآيات القرآنية، وما تدل عليه من معنى، وفي هذا تشويش على النص القرآني، وعدم فهمه فهمًا صحيحًا موافقًا لسياق الآيات.

ثامناً: الاهتمام بالبحث اللغوي المقارن:

اهتم الجابري في تفسيره بمقارنة المعاني الواردة في القرآن الكريم مع ما ورد في اللغات الأخرى، وسنكتفي هنا بذكر مثال واحد لذلك:

وهو: عند تفسير قوله تعالى: **زُجَّجَ كُكُّو** (135) يقول في معنى الأنام: "كل ما فيه نفس، للكائنات الحية" (136).

ثم يقول: "ربما تكون هذه الكلمة معربة من "أنيميا" التي تعني باللاتينية واليونانية "النفس"، أو "مبدأ الحياة" أي ما يجعل موجودًا ما ينتمي إلى "الكائنات الحية". وما زال هذا المعنى حاضرًا في اللغات الأوروبية" (137).

وفي هذا الجانب يفسر الجابري الكلمات القرآنية تفسيرًا غريبًا، بناءً على أن هذه الكلمة معربة أو وردت في اللاتينية، أو الفارسية بمعنى آخر، غير ملتزم بما قال الله تعالى: **زُجَّجَ كُكُّو** سياقها.

وفي ذلك يقول ابن عاشور: "وليس وجود كلمة متقاربة اللفظ والمعنى في لغتين بديل على أنها منقولة من إحدهما إلى الأخرى إلا بأدلة أخرى" (139).

الخاتمة:

بعد الدراسة لمعلم تفسير الجابري كتابه المسمى فهم القرآن الحكيم التفسير الواضح حسب ترتيب النزول فإننا نخرج بالنتائج التالية:

- 1- جاءت دراسة الجابري للقرآن الكريم حسب ترتيب النزول، ولا تعد هذه الدراسة الأولى من نوعها، فهناك دراسات سابقة لها مثل: الدراسة التي قام بها محمد عزة دروزة في كتابه التفسير الحديث ودراسة ملا حويش آل غازي عبد القادر في كتابه بيان المعاني، ودراسة عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في كتابه معارج التفكير ودقائق التدبر.
- 2- دراسة الجابري للقرآن الكريم حسب ترتيب النزول أدى إلى عدة أمور منها:

135- سورة الرحمن، الآية: 10.

136- الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 1، ص 93.

137- المرجع السابق، ج 1، ص 93، الهامش.

138- سورة الشعراء، الآيات: 193-195.

139- الجابري، فهم القرآن الحكيم، ج 1، ص 398.

- أ- ترك المناسبات بين السور كما في الترتيب المصحفي.
- ب- ترك المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض، مما أدى إلى تمزيق السياق.
- ج- الادعاء بأن الترتيب المصحفي أدى إلى فهم القرآن الكريم فهمًا مقلوبًا.
- 3- ادعى الجابري أن دراسته للقرآن الكريم إلى جانب السيرة النبوية لبيان ما بينهما من علاقة وطيدة، هي الأولى من نوعها، وهذا غير صحيح حيث أن هناك دراسات سابقة له مثل دراسة عبد الصبور مرزوق: السيرة النبوية في القرآن الكريم.
- 4- دراسة الجابري للقرآن الكريم إلى جانب السيرة النبوية أدت إلى عدة أمور منها:
- أ- ترك الجانب العلمي في القرآن الكريم والادعاء بأن التفسير العلمي للقرآن الكريم سبب مانع من فهم القرآن الكريم.
- ب- ترك الجانب البياني للقرآن الكريم، وفي هذا ترك لجانب عظيم من جوانب إعجاز القرآن.
- ج- الطعن في المفسرين القدامى والادعاء بأن تفاسيرهم غير منظمة وفيها معلومات واجتهادات متراكمة مع بعضها البعض.
- 5- اختار الجابري المعاني اللغوية المخالفة لجمهور المفسرين، للتدليل على رأيه، والمخالف لسياق الآيات القرآنية، والمؤدي إلى تمزيق وحدة السياق القرآني، وفهم القرآن فهمًا خاطئًا.
- 6- أخذ الجابري بأسباب النزول الأقرب للسياق، كما يراه هو والأقرب لمعهود العرب، ولو كان مرفوضاً عند المفسرين.
- 7- يصحح الجابري للأحاديث الضعيفة، ويضعف الصحيحة، ويشكك في صحتها، لعدم موافقتها لرأيه الذي اختاره، وكذلك يفعل مع مرويات السيرة النبوية.
- 8- يأخذ الجابري بالقراءات الشاذة، والبعيدة عن السياق.
- 9- يأخذ الجابري بروايات التوراة والإنجيل، مركّزاً على روايات فيها طعن بالأنبياء صلوات الله عليهم.
- 10- من أبرز القضايا التي ناقشها الجابري في تفسيره:
- أ- انقطاع الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم لمدة ستين ونصف.
- ب- إنكار عذاب القبر.
- ج- إنكار معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الحسية، واعتبار القرآن الكريم المعجزة الوحيدة له.

- د- حديث القرآن عن الجنة والنار، يحمل على المجاز وليس على الحقيقة.
- ه- القصص القرآني جاء للعبارة والعظة وليس لبيان التاريخ، وهو في حكم الأمثال.
- و- التكرار في القصص القرآني جاء لاختلاف المخاطبين.
- هذا أبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، وفي ختامها أوصي العلماء وطلاب العلم بقراءة هذا التفسير والتصدي لكل ما جاء فيه من قضايا مخالفة للصواب، كما أوصي بدراسة مقارنه للترتيب المصحفي والترتيب حسب النزول وبيان الفرق بينهما، وبيان آثارهما على فهم القرآن الكريم.
- أخيراً أرجو من الله أن أكون قد وفقت في دراسة هذا الموضوع وعرضه وبيانه، وإعطائه شيئاً من حقه، فإن وفقت فمن الله عز وجل، وإن أخطأت فمن الشيطان. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Contemporary Exegeses: A Critical Review: al-Jābirī's understanding of the Qur'ān as Specimen

This paper aims to highlight the role of contemporary interpretations toward the understanding of the Qur'ān.

It stresses the need for critical assessment of contemporary works of exegesis in the traditional scholarly scales. It tries to fathom the impact of this current spade of works on present readers' understanding of the Qur'ān.

The writer takes up for critical review, the exegetical work of al-Jābirī to assess the role of contemporary attempts at understanding the Qur'ān and explores the possible effects of departure from classical framework of exegesis.
